

موقف النحاة من فلسفة النحو

د.صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

مدخل

الموضوع تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق ليس موضوعا جديدا في النقاش عنه بل كانت هناك المناظرة المشهورة بين اللغويين النحويين والفلاسفيين في عهد العباس¹. المنطق كفن من الفنون أو علم من علوم في التعبير عن الاتجاه والمضمون الحضاري الذي انبثق منه لذلك هو الميزان المعرفي والمعياري الفكري والنظري كل ذلك من النطق، لأنَّ "النطق" هذا حيثما ورد يكون مقابلا لمعنى الظلم والهووى والضلال ومقرونا بها، وهو بهذا التقابل مرادف للحق الخالص المجرد عن الأهواء والضلالات: - قوله تعالى (ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)² وقوله (فورب السماء والأرض إنَّه لحقُّ مثل ما أنكم تنطقون)³ وقوله (ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى)⁴ وقوله (وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون)⁵. ومستضيئا من ذلك، كلمة النطق ليست تركيز على الكلام فحسب بل تقابل بالأشياء الضلالات والظلمات والسيئات كما يرى د. خطاب عبد الحميد⁶ "أنَّ الفكرة المركزية في كتاب "تهافت الفلاسفة"⁷ للغزالي هي فكرة معرفية منطقية تتمثل في أن الفلاسفة أخطأوا حينما بنوا أدلتهم على مقدمات مسلمة على أنها يقينية قاطعة ليست كذلك، بل فخطئوهم لم يكن راجعا إلى كون النتائج التي وصلوا إليها متعارضة مع الدين - وإن كان الغزالي يحسب لهذا ألف حساب - وإنما إلى عدم أحكام المسائل المنطقية التي استخدمت لإنتاج مسائل كل من العلمين: الإلهي والطبيعي وهما العلمان اللذان اقتصر نقد الغزالي عليهما". ومن الإحتمال أن هذه الآراء لاحظت أنه لم يذكر القضية الفلسفية بسوء. بذلك أضاف د. خطاب⁸ "وهو ما أخطاء الفلاسفة اليونان وأتباعهم الإسلاميون مما حدا بهم إلى الزيف وإلى التهافت وإلا فإن الحسابيات أو الرياضيات أو المنطقيات التي هي من مشتملات الفلسفة، فإنها مرحب بها ومقبولة قبولاً لا يرد لأن منهجها العقلي سليم، وقضاياها يقينية وقاطعة الصدق" ويبدو أن هذا القول صحيح حينما رجوع إلى هذا الكتاب

¹ المناظرة الحارة بين أبي سعيد السيرافي من النحويين البصريين ومتى بن يونس في سنة 326هـ ببغداد

² المؤمنون 62

³ الزاريات 23

⁴ النجم 3

⁵ النمل 85

⁶ عبد الحميد الخطاب، الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1986، ص 480

⁷ الكتاب المشهور لدى الغزالي زعم بعض الناس أنه مفتاح ضدَّ الفلسفة في العلوم

⁸ عبد الحميد الخطاب، الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 483

كما قال الغزالي⁹ " ويستدلون على صدق علومهم الإلاهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول¹⁰ . وأما فلسفة النحو فهو علم تأثر بمنهج المسلمين الأصولي ولكنه وضع في أصول النحو نظرية فلسفية، إنّ مباحث اللغة بوجه عام ازدهرت في العالم الإسلامي ازدهارا كبيرا وكانت بلا شك تستند على تفكير فلسفي نابع من بنية اللغة¹¹ . بدأت ظهور الفلسفة في النحو في عهد المحاولات التفسيرية واللغوية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كان المسلمون في تلك الأيام يختلفوا في التفسير بعض الآيات اختلافات لغوية تفسيرية حول تصوّرات قرآنية وحديثة. واختلفوا في المفهوم اللغوي للآيات المحكمات، وكذلك اختلفوا في تفسيرات لغوية في القضاء والقدر والأسماء والأحكام، بل المذاهب الفقهية أيضا ناشئا عن اختلافات في البنية اللغوية الصادرة عن هذا المجتمع الجديد¹² . وأيد العلماء اللغوي من المحدثين C.H.M Versteegh¹³ بهذا الرأي حيث قال: إنّ فكرة النحو العربي قد تأثرت بالنحو والمنطق الإغريقي بطريقة الملاحظة والتجربة (Scientifically) وهذا القول توافق بالرأي A.Merx¹⁴ أي أن النحو العربي عند العرب تأثر بمنطق أرسطو خاصة في مفاهيم الظرف والمحتويات والحال. وبمعنى ذلك أنّ عنصر النحو عند أرسطو أثر على النحو العربي. وأضاف A.Elamrani Jamal¹⁵ حيث قال "إنّ العلاقة بين النحو العربي والفكرة الإغريقية نتيجة لتأثير الفلسفة في القرن الرابع والخامس، وهذا الرأي كاد يقوّي قول المخزومي¹⁶ "إنّ كثيرا من النحاة كانوا من المتكلمين وقد أدركوا عمق الصلة بين الدرس النحوي وأساليب المنطق والكلام ومدى تأثيره بأساليب المتكلمين والنظار وكان الدارس النحوي يزداد اتصالا بالفلسفة والمنطق حتى خضع لأسلوبها خضوعا كاملا عند نحاة القرن الرابع" أي بمعنى أن تأثر النحو العربي بالفلسفة الإغريقية بدأ في مرحلة ازدهار النحو أي في هذا العهد فلا مجال لإنكار تأثير المنطق والفلسفة في النحو العربي. فهمّنا من ذلك، أنّ الفلسفة النحوية هو جزء من الفلسفة والمنطق في العلوم الطبيعية والحسابيات والتجريبية في الحقائق.

⁹ الغزالي، *مهافت الفلاسفة*، تحقيق سليمان دنيا، ط6، القاهرة: دار المعارف، 1980، ص 76 - 77

¹⁰ *مهافت الفلاسفة* ص 62 - 63

¹¹ علي سامي النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة: دار المعارف، ط8، 48/1

¹² المرجع السابق، ص 224

¹³ C.H.M. Versteegh, *Greek Elements in Arabic Linguistic thinking*, Leiden: E.J. Brill, 1977, p.v111

¹⁴ See G.Troupeau `Nahwu` in *The Encyclopaedia of Islam* (eds) Bosworth, Leiden: E.j. Brill 1993, vol v11, p 913.

¹⁵ المرجع السابق

¹⁶ مهدي المخزومي، *الدرس النحوي في بغداد*، بيروت: دار الرائد العربي، 1987، ص 82-83

النظرية الفلسفية والمنطقية لدى اللغويين والنحويين

كان من آثار تطبيق المنهج الفلسفي على الدراسة النحوية نحو نُطِيق فعل الماضي مبنيا، والمضارع معربا، والفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا والمضاف إليه مجرورا ونُصِبَ بـ "إن" وأخواتها ورُفِعَت خبرها، وكذلك رُفِعَت بـ "كان" وأخواتها ونُصِبَت خبرها، كل ذلك من خلال الشعر والنثر ولكن ظهرت العلل والأقيسة في معرفة وتعليل هذه الظواهر باستفسارهم عن المبنى والمعرب، ولماذا بُني ولماذا أُعرب؟ كما ذكر ابن جني أن هذه الظواهر أدت إلى نشوء ما يسمى بالعلل الأول والثواني والثالث¹⁷. ابن قتيبة النحوي اللغوي العالم في مقدمة "أدب الكاتب يقول "إن طائفة من الكتاب قد شغفت بالنظر في النجوم والمنطق والفلسفة، وعرفت الكون والفساد، والجوهر والعرض، وأهملوا اللغة أو النظر إليها، فوضع لهم كتاب في ذلك... والقياس الذي يشغل جزءا كبيرا من منطق أرسطو أصبح ذا دخل كبير في كثير من العلوم، فالقياس في الفلسفة وفي اللغة وفي النحو، وفي الفقه¹⁸، كان للفلسفة اليونانية أثر كبير في تعاليم المتكلمين والأفلاطونية الحديثة¹⁹ بعض الأثر في التصوف... كما يقول أرسطو أن الزمان والمكان كالوعاء للأشياء وهذا أصل تسمية النحويين للمفعول فيه ظرفا أي وعاء²⁰. وأيد القول السابق بقول الجاحظ حيث نرى أن منهج النحويين كان يجري على أسلوب الفلاسفة والمناطق وعلماء المتكلمين في قياسه وينظرون في العلة، فإن كانت صحيحة، فالصحيح لا يوجب إلا هذا الصحيح²¹. مع غير ذلك أشار الجاحظ إلى قضية المنهج العلمي مما تضمنت لدى أهل العلم حيث إذ يقول "حدثني بعض أهل العلم عن طال ثروة في أرض الجزيرة، وكان صاحب أخبار وتجربة، وكان كلفا بحب التبيين معترضا الأمور، يجب أن يقضي إلى حقائقها وتثبت إعيائها بعلمها، وتمييز أجناسها وتعرف مقادير قواها، وتصرف إعمالها، وتنتقل حالاتها، وكان يعرف للعلم قدره²². ومستضيئا بهذا الرأي نجد أنه يامعان نظر تعمق في تعبير الأمور المعرفية واخلص للفكر والمعرفة، ونلاحظ اهتمامه في مجال الثقافة واستنباط الحقائق واستقرائها. وفهمنا — من قوله — أن الجاحظ أيضا عالم من علماء الدين، ومتكلم من الطراز الأول في اللغة وآدابها وخاص في بحار العلوم، ما كان عربيا منها وما كان منقولا فكان مذهبه الرائد الذي يتمثل الحكمة والفلسفة اليونانية. ويبدو أن د. إبراهيم مدكور من المحدثين قد سار على نسق الجاحظ في قوله "ولم يقف الأمر فيما نعتقد عن

¹⁷ ابن جني، الخصائص، 139/1

¹⁸ أجمع الفقهاء بين الفلسفة والشريعة لأن الفلسفة مُعَرِّفة بالشريعة لأن الشريعة عامة، انظر أبو حيان التوحيدي، الامتناع والمؤانسة،

تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، 12/2

¹⁹ حتى سمي بالأفلاطون الإلهي

²⁰ ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق أحمد شاكر، الرحمانية 1355هـ، ص 5

²¹ الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، البابي الحلبي، 92/4

²² المرجع السابق، 51/4

الفقه والكلام، بل امتد ذلك دراسات أخرى من بينها النحو وقد أثر فيه المنطق الأرسطي من جانبين، الأول: - جانب موضوعي، والثاني: - جانب منهجي فتأثر النحو العربي عن قرب أو بعد بما جاء على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية. كانت هذه الفكرة هي الباعثة في تعريض الاتجاهات الفلسفية والمنطقية وتتجلى في ذلك ذكر إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو" ²³ بعض الأمور في النحو العربي وما علاقته وتأثيره بالفلسفة، ويرى أولاً، كل علامة من علامات الإعراب فهي أثر العامل إن تجده في الجملة وجب تقديره، وثانياً، لا يجمع عاملان على معمول واحد، وثالثاً، الأصل في العمل للأفضل ولا تعمل في الأسماء فقط فرفعها وتنصبها ولكنها لا تجر، ورابعاً، ويكون الاسم عاملاً نحو في اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر، وخامساً، إن الحرف لا يعمل في نوع من الكلمات حتى يكون مختصاً به "فلم ولن" عاملتان في المضارع ولا تعمل في الماضي، وسادساً، مرتبة العامل التقدم وإذا كان العامل قوياً أمكن أن يعمل متقدماً ومتأخراً، فإذا كان ضعيفاً لم يعمل إلاً متقدماً.

كان الفارابي من أوائل الفلاسفة والمناطق لدى العرب في صنع النظرية الاتصالية مما يُعرّف المعنى اللغوي وما علاقته بالنحو والمنطق ²⁴ منها علاقة الاسم بالحال وأنواع الأفعال ودور الأدوات في تكوين الجمل لكل الجمل هي المنطق اللغوي ²⁵ يرى أن الفلسفة ليست علماً جزئياً كالعلوم الرياضية والطبيعية والطب وما شكلها، وإنما هي علم كلي يرسم لنا صورة شاملة للكون في مجموعة ²⁶، ويبدو أنه يرى أن حصول المنطق لا بد بطريقة الفنية للنظريات والتطبيقات. وهناك الرأيان كادا متفقان بينهما وهما رأي الفارابي ²⁷ ونعوم تشومسكي ²⁸ كما ذكر الفارابي في نظريته الاتصالية أن كلمة "الإنسان" ليس بمعنى واحد، بل لكل الإنسان له الاسم نحو "زيد" أو "عمر" أو "محمد" أو غيرهم. وهذه تأتي بمعنى واحد وهو الإنسان، وأما "زيد" و"العماد" و"الأبيض"، لا يأتي بمعنى واحد، هاتان - العماد والأبيض - لا تتكونان في مكون الإنسان لأن العماد هو جامد أو كونه وأما الأبيض هو صفة. ولا تأتي الجملة منها وإلا تكوين من هذه الثلاثة معاً. وكذلك يرى نعوم تشومسكي قاعدة النحو الكلي (Universal Grammar) مكون من ثلاثة مركبات أي أن لكل الجملة لها مبتدأ (subject) والخبر (predicate) والأدوات (connections). وبدون أحد منها الجملة لا تُكوّن. بمعنى العلاقة بين الاسم والفعل والأدوات علاقة قوية ووطيدة في أي لغة من لغات البشر.

²³ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص 23

²⁴ Fuad Said Haddad, *Alfarabi's Theory of Communication*, Beirut: American University, 1989, p.32

²⁵ Ibid, p. 64

²⁶ الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ص 43

²⁷ Ibid, p.48

²⁸ Chomsky, Noam, *Lectures Government & Binding* (Dordrecht: Foris Publications, 1988) pp. 1 - 19

بدون شك، أن ابن سينا من الفلاسفة المسلمين ورئيس الأطباء العرب وأمير الفلاسفة في نظر اللاتين قد كان ترجم المقدمة في كتابه "الشفاء" من العربية إلى اللاتينية مما متعلق بمنطق أرسطو²⁹. وقيل بأن عبد القاهر الجرجاني من أوائل تلاميذه قد ساعده في ترجمة هذه المقدمة في الكتاب إلى اللاتينية³⁰. لذلك، يمكن نقول أن فكرة النظم مما أدى بها الجرجاني من الاحتمال تأثر مباشرة عن الفكرة الفلسفية والمنطقية من أرسطو لأن هذا الكتاب أي "الشفاء" حاصل على تأثر ابن سينا بهذه الفكرة. وهناك بعض المترجمين المشهورين في القرن الثاني عشر مسيحي منهم إبراهيم داود (Avendauth) ترجم بعض الكتب الفلسفية الإغريقية إلى العربية³¹. وبالعكس لا ريب فيه أن هناك بعض اللاتينيين منهم Pierre De Toledo الذي ماهر في اللغة العربية حيث ترجم بعض الفكرة العربية إلى اللاتينية مباشرة³². وكذلك Roger Bacon³³ ماهر في النحو العربي بدليل أنه قد وضع أو على الأقل كان ينوئ وضع أجرومية للغة العربية³⁴. ومن هنا فهمنا أن ابن سينا له مرتبة خاصة لدى اللاتينيين في تكوين فكرتهم وهو كالباعث الفلسفي والمنطقي لديهم.

لقب ابن رشد (Averroes) بـ "المعلم الثاني"³⁵ في الفلسفة والمنطق. وهو عاش في عهد الموحدين بالأندلس. سُميت فكرته "الفكرة الحرة" وانتشر هذه الفكرة انتشارا واسعا في العهد البعثة (Revolution Period) بإوروبا. كما ذكر نجيب الله عن قول Roger Bacon في كتابه المشهور "Opus Majus":

"After Avicenna Came Averroes a man with a solid doctrine, who corrected the sayings of his predecessors and whose contribution is great...The philosophy of Averroes long neglected, rejected and re-proved by the most famous doctors today wins the unanimous approval of the wise man. The 14th and 15th centuries, the influence of Averroes in Europe grew so strong that his works replaced those of Aristotle in the curriculums of European universities. John Baconthorpe of England (d.1340) was so well versed in Averroism that he was called "Prince of the Averroist". In 1473, Lois x1 of France regulating the study of philosophy in his realm, designated the works of Aristotle and Averroes as the only allowable philosophical texts. At the university of Padua , Islamic philosophy in general and Averroes in particular were taught until the 17th century. In the 13th century, the Christian priesthood became worried about the propagation of Averroism, which was presented in Europe as the belief in the identity of intellect among all humanity, the negation of the knowledge of particular

²⁹ زينب محمود الحضاري، "ابن سينا وتلاميذه اللاتين" القاهرة: دراقباء، 1998، ص 23

³⁰ المرجع السابق، ص 24

³¹ المرجع السابق، ص 25

³² المرجع السابق، ص 26

³³ تلميذ ابن سينا من اللاتينيين

³⁴ المرجع السابق، ص 108

³⁵ المعلم الأول هو أرسطو

qualities in god, destruction of Divine providence in the sublunary the world, and the affirmation of two distinct and contradictory orders of knowledge of faith and the knowledge of reason³⁶.

ومن الكتابة السابقة فهمنا أنّ ابن رشد له إسهام كبير في تكوين فكرة الفلسفة والمنطق لدى الأوروبيين مهما معظم منهم سواء من النصارى واليهوديين والمسلمين هاجموا عليه هجوما شديدا³⁷. ومن ذلك أدركنا بأن الفلاسفة والمناطقة المفكرين الإسلاميين قد تأثروا بالفكرة الأرسطورية حيثما حاولوا قعدها ونظّموها وقوّموها وقَيّموها لكي لا تخرج عن الأحكام الأساسية في العقائد الإسلامية والتوحيدية والربوبية. وهؤلاء من شراح فلسفة اليونان، وفلسفية إسلامية فيها أصالة وإبداع، هؤلاء الفلاسفة لا يمثلون على الإطلاق فيما تركوا من كتب بل وصلت إلينا الأصالة الإسلامية الفلسفية.

من آثار المنهج الفلسفي في النحو العربي

ورأت الباحثة لما تكوّنت النحاة هذه الفلسفة حكّموها وقعّدها في اللغة، وجعلوها ميزان ما في الجدل بين المذاهب ومناقشة في الآراء. وكذلك رأت أنّ البصريين أحرص على هذه الفلسفة وأمهر فيها على أنّ الكوفيين لا يفعلونها ولا يابون الاحتجاج بها. وهذه الفكرة لعل من المؤكد أن يؤيد قول شوقي ضيف³⁸ أنّ عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني وما وضعه أرسطوطاليس من المنطق وأقيسته. وأضاف بذلك، أنّ التأثير الفلسفي في البصريين كان أسرع من تأثير الكوفيين به وببقية الأمصار وزخرت البصرة بتيارات الفلسفة اليونانية وظهر اتجاهات المعتزلة والذين كانوا أسرع استقبالا لهذا المنهج بأهل الجدل.

فالعراق في تلك الأيام — بصورة عامة — كان قد تأثر بالنزعة المنطقية والفلسفية تأثرا واضحا ظهر أثره في القياس الفقهي، فلا غرابة أن تتأثر الدراسات النحوية بهذه المناهج العقلية تأثر يقل أو يكثر تبعا للبيئة التي يقيمون بها³⁹. وكما ذكر الرماني من البصريين المعتزلة الذين بالمنهج الفلسفة في تحقيق المسائل وتوليد الفروع وأقامة الأدلة وغلبت هذه الخصائص على أسلوبه في البحث والتأليف⁴⁰. قال الدكتور سامي النشار إن قبول الفيلسوف الإسلامي للتراث اليوناني في مجموعه، كان يحتم عليه قبول كل عناصر وبهذا اندرج المنطق اليوناني في أبحاث هؤلاء الفلاسفة إندراجا طبيعيا، بحيث لم ير فيه

³⁶See H.Zainal Abidin Ahmad, **Riwayat Hidup Ibnu Rushd Filisuf Islam Terbesar di Barat**, Jakarta: Bulan Bintang, 1975, p.18.

³⁷اقرأ قصة ابن رشد في محكمة الموحدين في عهد خليفة يعقوب، وهذا العقاب عن تأثره بالفلسفة الأرسطورية

³⁸شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط6، القاهرة: دار المعارف، 1995، ص 22

³⁹المرجع السابق، ص 23

⁴⁰المرجع السابق، ص 37

الفيلسوف الإسلامي يعني هذا أن هؤلاء الفلاسفة كانوا جسما غريبا في قلب الحضارة الإسلامية، عاشوا أغلب مراتب حياتهم كفلاسفة يونان لا يمشون إليه بصلة كلهم⁴¹. وترى الباحثة هذه الأمور لا بد لا تتعامل مع الأمور مما تتعلق بالإلاهية والتوحيدية إلا على الأمور البرهانية اليقينية والصادقية والحسابية فحسب، كما ذكر الغزالي حين تصديق الفلاسفة والمناطق للصفات الإلاهية فيقول "لا غرو لو حار العقل في الصفات الإلاهية، ولا عجب، إنما العجب من إعجابهم بأنفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم أنهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية مع ما فيها من الخيط والحبال"⁴².

ومن هنا، وجدنا أن تطور الدراسات النحوية تضمّنت المفاهيم الفلسفية والمنطقية قد امتزجت بمفاهيم النحو العربي، وهناك اختلاف واضح بينهما إذ أن مجال المنطق هو الدراسات الفلسفية البحتة أي هو أداة الفلسفة بينما النحو هو مناقشة الألفاظ وأحوالها. بمناسبة هذا القول ترى الباحثة أن رأي عبد القاهر الجرجاني فـ "النظم" أشمل نظرية في تطبيق الفكرة الفلسفية والمنطقية في النحو العربي. "النظم" عند الجرجاني هو تأخي معاني النحو ومعاني الكلام أي أن بعضها ببعض على حسب المعنى المطلوب⁴³. ومعاني النحو تكون في الألفاظ والمعاني، قال الجرجاني: ولا مزية للنظم ولا حسن من غير أن يكون في معاني النحو شيء يتصور أن يتفاضل الناس في العلم به⁴⁴. لماذا طرح الجرجاني هذه الآراء؟ فالجواب، لأن الناس تتفاوت في إدراك معاني النحو وفروقه التي يضمها النظم بالتعلق والربط، ثم هو يشير إلى شكوى الناس من أحكام النحو ومعانيه⁴⁵. وترى الباحثة أن الربط الجمل ببعض مع مراعاة معاني النحو ومراعاة أحكامه هي الحكم أو القانون وهو ما يسمى تمام حسان⁴⁶ — العلاقة السياقية أو Syntagmatic Relation. وإضافة بذلك، أدرك الفارابي أن "صناعة المنطق تناسب صناعة النحو، ذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمقولات "المعاني" كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ"⁴⁷ ويرى أبو حيان التوحيدي ومسكويه أن كلاهما يعني بإثبات حكمه: النحوي يثبت صحة رفع الفاعل مثلاً، والمنطقي يثبت صحة قضية حملته، فيشتركان في التفكير بطرق

⁴¹ علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكر الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية، 1984، ص 29

⁴² تهافت الفلاسفة، ص 191

⁴³ صالحة حاج يعقوب، نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية، رسالة الدكتوراة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا،

2006، ص 161

⁴⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق أحمد مصطفى المراغي بك، القاهرة: المكتبة العربية ومطبتها، د.ت، ص 343

⁴⁵ صالحة حاج يعقوب، نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية، 162

⁴⁶ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب: دار الثقافة، د.ت، ص 189

⁴⁷ الفارابي، إحصاء العلوم، 54

الاستدلال وإن اختلفت ماهية الدليل" ⁴⁸. ودقة معنى الكلام بدقة توخي معاني النحو أي إنّ على المتكلم أو الكاتب أن يكون حريصاً في استخدام معاني النحو، أن يكون دقيقاً وهو يختار المعنى النحوي المناسب لمعنى الكلام، فيحدث حين ذلك "النظم" وقد أتى الجرجاني بمثال لدقة الاختيار لما قال ⁴⁹ إنّ إضافية المصدر إلى العامل تقتضى وجوده أي وجود المصدر ووقوعه لذلك يقول "أمرتُ زيداً بأن يخرج غداً" ولا تقول "أمرته بخروجه غداً".

أمرتُ زيداً بأن يخرج غداً

ظرف للمستقبل

عامل

فعل دال على

معمول المستقبل معمول

"أن"

مصدرية ظرفية تحول

الفعل للمستقبل وهي

عاملة للنصب

معنى ذلك أنّك إذا كنت دقيقاً فاستخدمت أن + الفعل المضارع، فهذا معناه النحو استقبال ولكنك غير دقيق لو أتيت بالمصدر وهو الخروج، لأن هذا معناه النحو وقوع الخروج ووجوده في الماضي فلا يصح استقبالا ⁵⁰. ومن دقة معنى الكلام التزام الرتبة والتنكير حسب المعنى. هذا بمعنى أن دقة دلالة الرتبة عند الجرجاني دقة توخي معاني النحو. لا يخفي على أحد أن الرتبة أو ترتيب معاني النحو لها علاقة بمعنى الكلام، وهناك حديث طويل لعبد القاهر الجرجاني عن دلالة التقديم والتأخير وكأن له به اهتماماً شديداً، قال "ليس زيد أخوك بمعنى أخوك زيد" وهذه القاعدة من أثار المنطق في التعليل استعمال المقدمات الصورية. وكذلك دقة دلالة تنكير المبتدأ وتقديم الخبر أدت إلى دقة توخي معاني

⁴⁸ انظر في الفرق بين النحو والمنطق: أبا حيان التوحيدي وابن مسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين وسيد أحمد صقر،

القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951، ص 293 - 294

⁴⁹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 4

⁵⁰ وفي جانب النحو فلسفة إسلامية خالصة: فكرة الزمان، الماضي والحاضر والمستقبل، انظر على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي

في الإسلام، 56/1

النحو كما استدل الجرجاني في قوله تعالى (ولكم في القصص حياة)⁵¹ على أن تنكير المبتدأ له معنى حسنٌ ومزية نظم في الآية الكريمة.

ولكم في القصص حياة

خبر مقدم

المبتدأ نكرة والتنكير له معنى نحوي

وحسن ومزية نظم في الآية

وأدرك من ذلك، أن معنى التنكير معنى نحو في الآية وهو الحسن والمزية في نظمها، وأن معرفة معاني النحو ومعانيه ضرورة في نظم الكلام وإن تفاوت الناس في معرفة النحو. نفهم من نص الجرجاني أن معاني النحو من أفراد وتذكير وتشبيه وتوكيد وفاعلية ومفعولية وإسناد ونقدية وسببية وتبقية وبدلية واستثنائية... إلخ تكون خلال الكلام أو ضمنه ومعاني النحو هي سبب ترتيب الكلام مما جعله في غاية القوة والظهور. وترى الباحثة أن "النظم" مما تعلق وربط بالمعاني النحو وألفاظه لها علاقة قوية ووطيدة بالفكرة التوهمية في النحو العربي، واستدلت في قوله (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)⁵²

لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين

حرف للتحضيض

والرغبة

معمول وهو جواب

التحضيض بالنصب

عطف على محلّ توهم الفعل (فأصدق)

وهو الجزم على توهم عامل يجزم الفعل

⁵¹النصر 1

⁵²المنافقون 10

والشاهد (وأكن) جزم على توهم عند سيبويه⁵³ الشرط الذي يدل عليه بالتمني، وعامل الشرط ليس بظاهر لفظاً، ولكنه وهمٌ معنويٌّ واقعٌ على (فأصَدَّقَ)، فعطف عليه بالجزم. وذهب الزمخشريُّ إلى ما ذهب إليه سيبويه من أن (وأكن) بالجزم عطفٌ على محل (فأصَدَّقَ)، كأنه قيل (إن أحررتني أصدق وأكن). وقرأ الجمهور (فأصَدَّقَ) بالنصب على جواب الرغبة. وترى الباحثة أنَّ (وأكن) مجزومٌ على تخلف الحركة الإعرابية والمتسامح فيها، كما فهمتها من محدثي العلماء مثل الدكتور تمام حسان⁵⁴. (فأصَدَّقَ) عند تمام حسان منصوب على الخالفة فإنه يرى أن (أكن) عطف على (فأصَدَّقَ) وقد تخلفت حركة الإعراب وتضافرت القرائن على المعنى وأهم قرينة أو إشارة هنا هي أداة العطف⁵⁵.

المجموع على ضوء المنطق والفلسفة في النحو

هناك بعض الأمثلة الأخرى بوجوه المخالف آنفا تميل إلى أن النحو العربي تأثر بالفلسفة أمر لم يجز بذلك، كما قال ابن جني "وأما في الحقيقة ومحصول الحديث والعمل في الرفع والنصب والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره"⁵⁶. فالعبارات يستخدم العقل في تفسير الظواهر وليس هذا عمل الألفاظ... فهذا في رأيه باطل عقلاً وشرعاً. وكما فهمنا شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما ننطق "زيداً ضربته" بزيد منصوباً كانت "أن" غير موجودة فكيف ينسب إليها الفعل وهي معدومة؟ وقال ابن مالك في شرح الكافية⁵⁷ إذا تقدّم اسم على فعل صالح لنصبه لفظاً، أو محلاً وشغل الفعل عن عمله فيه بعمل في ضمير، فذلك الاسم السابق ينصب بفعل لا يظهر مواقف للمشغول معنى".

وردّ ابن مضاء على هذا القول بقوله "وإن كان العائد على الاسم المقدم قبل الفعل ضمير رفع، فإن الاسم يرتفع، كما أن ضميره في موضع رفع، ولا يضمّر رافع كما لا يضمّر ناصب، إنما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب، إنه تارة منصوب على أنه غير مبتدأ، وتارة مرفوع على أنه مبتدأ، فلا منفعة بذلك"⁵⁸.

⁵³ سيبويه، الكتاب، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، 117/3.

⁵⁴ حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 204 – 205.

⁵⁵ أي أن جزم (أكن) مخالف للقياس، الذي يحكم بنصبها لأنها معطوفة على المنصوب لفظاً لزوال الجزم بعد دخول الفاء انظر عبد الله

أحمد جاد الكريم، التوهم عند النحاة (القاهرة: مكتبة الأدب، 2001م)، 127.

⁵⁶ ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم محمد، المكتبة التوفيقية، 111/1.

⁵⁷ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م،

275/1، وشرح ابن عقيل، تحقيقي يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1998، 406/1.

⁵⁸ ابن مضاء، الردّ على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، ط3، القاهرة: دار المعارف، ص 106.

ومن هنا وجدنا أن القدامى استدلووا بالآيات القرآنية فيها بالاشتغال وقدّرو فيها عاملا محذوفا، قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليهم)⁵⁹. قال أبو حيان الأندلسي انتصاب "رسلا" على إضمار فعل أي قد قصصنا رسلا عليك، فهو من باب الاشتغال والجملة من قوله (قد قصصناهم) في موضع الصفة⁶⁰. وقوله تعالى (فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة)⁶¹ قال الزمخشري انتصاب في "فريق" بفعل مضمرة يفسره ما بعده كأنه قيل: وخذل فريقا حقّ عليهم الضلالة⁶²، وفي قوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه)⁶³ قال الفراء⁶⁴... نصبت القرآن بأرسلناك أي ما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا.

وكذلك في باب التنازع، كما ذكر ابن مضاء (ورأى في هذه المسألة وما شاكلها أنها لا تجوز، لأنه لم يات لها نظير في كلام العرب، وقياسها على الأفعال الدالة على مفعول به واحد قياس بعيد، لما فيه من الإشكال بكثرة الضمائر والتأخير والتقديم⁶⁵. وقد اعتمد البصريون إعمال الثاني أرجح بسبب الجوار واستدلوا قوله تعالى (آتوني أفرغ عليه قطرا)⁶⁶ إعمال الثاني وهو "أفرغ" ومفعول ثاني "آتوني" محذوف لدلالة على إعمال الثاني واضح، وتحدثنا سابقا أن البصريين ميول إلى فكرة الفلسفة وأدق بها. ودليل في الحديث النبوي⁶⁷ (تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين) هناك ثلاثة العوامل لها معمولان، و"تسبحون" و"تكبرون" و"تحمدون" تنازعت معمولين هما "دُبر" و"ثلاثا".

وحدثت المناظرة الحارة في سنة 326هـ ببغداد بين أبي سعيد السيرافي العالم النحوي اللغوي ومتي بن يونس العالم في المنطق والفلسفة الإغريقية وفي تلك المناظرة قال مّتي بن يونس⁶⁸ "يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان" فيرد عليه

⁵⁹ النساء 164

⁶⁰ عند ابن عطية، انظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، 414/3

⁶¹ الأعراف 30

⁶² الزمخشري، الكشاف، تحقيق مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، 1986، 95/2

⁶³ الإسراء 107

⁶⁴ الفراء، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم داسوقي، القاهرة: عالم الكتب، 1989، 58/2

⁶⁵ ابن مضاء الرد على النحاة، ص 92

⁶⁶ الكهف 96

⁶⁷ ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بيروت: دار الجيل، 274/1

⁶⁸ أبو حيان التوحيد، الامتاع والموانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، 109/1

اليسرافي بقوله: "أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى رصفها أي أغراض اللغة ومعانيها، وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها".

حقاً، الهجوم على المنطق في تطبيقه في مجال البحث النحوي لا يؤثر على الحقيقة وهي خضوع البحوث النحوية للقواعد والأساليب المنطقية لأن المهاجمين تأثروا في بحوثهم بالمنطق. وهذا يوضح آثار تفكير النحاة ومواقفهم من المشكلات الفكرية التي عاصروها. والسؤال هنا لماذا هاجموا على ذلك؟ فنجد أن هناك مؤثرين هاجموا في التراث النحو أولاً: - أن الذين هاجموا المنطق قد تأثروا بتجاهات المفكرين الإسلاميين الذين وقفوا من منطق الإغريق موقف المهاجمة الصريحة. وثانياً، في الوقت الذي كان في هذا الهجوم كانت كل العلوم العربية قد تأثرت بالمنطق والفلسفة اليونانية⁶⁹. وكما يقول اليسرافي النحوي: ... وإثما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقل ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان وكان المعنى ثابتاً على الزمان لأن مشتملي المعنى عقل والعقل إلهي ومادة اللفظ طينية وكل طينية متهافت⁷⁰ وأدركنا من ذلك أن أي لغة من اللغات أخرى لا تطابق من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وأفعالها وحروفها. ومن هنا يمكن نقول أن بدأت ظهور تأثير النحو بالفلسفة عند القدماء كانت في المرحلة الثانية والثالثة أي في عهد ازدهار الفرصة التقليدية والتحليلية في تطوير النحو العربي وقواعدها لأن هذه المرحلة تتميز فيه الخصائص الإسلامية مع الملامح المنطقية.

الخلاصة

نلاحظ أخيراً، أن العلاقة بين علم النحو وعلم المنطق من أهم الموضوعات التي كانت تشغل بال المناطق والفلاسفة في كل عصر. والفكرة الفلسفية والمنطقية هي فكرة مهمة في تطوير معلومات في العقل حيثما متعلقة بالأقيسية والعلية والعواملية وغيرها التي ترد في القواعد النحوية العربية. هناك القول في الهجوم على هذه الفكرة لذلك هؤلاء يرون أن الفكرة الفلسفية ليست له في مستوى اليقين بل اختراع من النحويين واللغويين والفلسفيين والفقهيين اختراعاً لبساً وغموضاً. ترى الباحثة على هذا الضوء أن الفكرة الفلسفية أو المنطقية له مجال الخاص في تطوير فكرة النحو العربي وترجو أن هناك عدم التناقذ والتخالف بين الأمة الإسلامية وغيرها في قبول على هذه الفكرة قبولاً متساهماً واسعاً دون تشكك عليها، كما ذكر د. فؤد سيد الحضاري:

⁶⁹ تاج الدين عبد القادر أحمد، أثر التفكير الفلسفي في الدراسات النحوية، رسالة الماجستير، معهد الخرطوم الدولي، ص 26

⁷⁰ انظر فهمي زيدان، في الفلسفة اللغة، بيروت: دار النهضة العربية، 1984، ص 191

" In this preface to my work, I sincerely wish that Orientalists and Arabs would shed off any kind of romantic approach in their attempts to study the history of the Arabs. Positively, I call for a fresh, objective and bold attitude in studying and evaluating all that the Arabs have contributed. A partial vision of history forges history and a selective adoption of the contributions of thinkers distorts truth. In particular, I hope that the interaction amongst Greeks, Oriental Christianity and Islam are reexamined with open mindness, sympathy, objectivity and daring attitudes. In so far, as this work is concerned it is hoped that it exemplifies the kind of approach and attitudes for which I so fervently call⁷¹

⁷¹ See Fuad Said al-Hadhori, p. 10

المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959م.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم محمد، بيروت: دار الكتاب العربي، 1952م.
- ابن عطية، انظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
- ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق أحمد شاكر، الرحمانية، 1355هـ.
- ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
- ابن مضا، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، ط3، القاهرة: دار المعارف، د.ت..
- ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بيروت: دار الجيل، د.ت..
- أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين وسيد أحمد صقر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951.
- أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، د.ت..
- أحمد جاد الكريم، التوهم عند النحاة، القاهرة: مكتبة الأدب، 2001م.
- تاج الدين عبد القادر أحمد، أثر التفكير الفلسفي في الدراسات النحوية، رسالة الماجستير، معهد الخرطوم الدولي، 1987.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب: دار الثقافة، د.ت..
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، الباي الحلبي، د.ت..
- الزمخشري، الكشاف، تحقيق مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، 1986م.
- زينب محمود الحضاري، "ابن سينا وتلاميذه اللاتين" القاهرة: درا قباء، 1998م.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1998م.
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط6، القاهرة: دار المعارف، 1995.
- صالحة حاج يعقوب، نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية، رسالة الدكتوراة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2006م.
- عبد الحميد الخطاب، الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1986م.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق أحمد مصطفى المراغي بك، القاهرة: المكتبة العربية ومطبعتها، د.ت..
- علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكر الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية، 1984م.
- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، د.ت..
- الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، ط6، القاهرة: دار المعارف، 1980م.
- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، ط3، القاهرة: مكتبة الأجلو المصرية، 1968م.
- الفراء، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم داسوقي، القاهرة: عالم الكتب، 1989م.
- فهمي زيدان، في الفلسفة اللغة، بيروت: دار النهضة العربية، 1984م.
- مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، بيروت: دار الرائد العربي، 1987م.

المراجع الأجنبية

- C.H.M. Versteegh, **Greek Elements in Arabic Linguistic thinking**, Leiden:E.J. Brill, 1977.
Chomsky, Noam, **Lectures Government & Binding** Dordrecht: Foris Publications, 1988
Fuad Said Haddad, **Alfarabi's Theory of Communication**, Beirut: American University, 1989.
G.Troupeau `Nahwu` in **The Encyclopaedia of Islam** (eds) Bosworth, Leiden: E.j. Brill 1993.
H.Zainal Abidin Ahmad, **Riwayat Hidup Ibnu Rushd Filosuf Islam Terbesar di Barat**, Jakarta: Bulan Bintang, 1975.

الدكتورة صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

عنوان البريد: drsolehah_yaacob@yahoo.com أو niknajah@iiu.edu.my

الهاتف: 603-61965114

الفاكس: 603-61965049

المحمول: 0162640714